الصورة الفنية في القرآن الكريم وأثرها في المعنى

The artistic image in the Noble Qur'an and its impact on meaning

د. طيب نسالي*

جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف (الجزائر)، nassali.doct@gmail.com

تاريخ الارسال**2023/01/11** تاريخ القبول 2023/02/10 تاريخ النشر2023/06/10

ملخص:

تميز القرآن الكريم عن سائر الكلام، وفاق في وصفه حدّ الخيال، وأتى بما لم يأت به الأولون والآخرون، وأعجز فرسان البلاغة وأرباب البيان، فلا تزال العلماء تجول في رحابه وتقطف من ينْعه وثمره، وتستقي من رحيقه المصفّى، وما ينضب معينه ولا يُسبَر غوره، ولعل السمة الأبرز في خطاب القرآن الكريم وطريقة عرضه التعبيرُ من طريق التصوير الفني، الذي يبدع في كل شأن يتناوله، ويعطي كل ذي حق حقه ولا يشغله أمر عن أمر، فما سمات التصوير الفني في القرآن الكريم وأثره في المعنى؟

هذا البحث يهدف إلى تبيان ماهية التصوير الفني، وملاحظة ألوانه وطرق صياغته في القرآن الكريم، ثم يتلمّس أثر ذلك وتجلياته في المعنى وفي المتلقي وفق منهج وصفي، وقد أثمر البحث نتائج من أهمها أن للصورة الفنية خصائص ووظائف لا تؤديها الأساليب المباشرة، قد تفنّن في رسم معالمها القرآن الكريم وتفرّد بها عن سائر الكلام، من سماتها إكساء التعبير مسحة من الحسن والجمال، والتسريع في عملية الإبلاغ عن المقصود بأوجز عبارة وأدق المعاني، إذ يُثمّرُ اللفظ القليل في تكثيف المعنى، وشدّ المتلقي شعوريا ووجدانيا والتأثير فيه.

الكلمات المفتاحية: الصورة الفنية، تكثيف المعنى، القرآن الكريم، النظم، الوجدان.

Summary:

Distinguish the Holy Qur'an from other speech, and surpassed in describing the limit of imagination, and came what did not come by the first and the others, and the inability of the knights of rhetoric and the owners of the statement, what features Artistic depiction in the Noble Qur'an and its impact on meaning?

This research aims to show what artistic photography is, and note its colors and methods of formulation in the Holy Quran, and then touch the impact of this and its manifestations in the meaning, the research has yielded results, the most important of which is that the artistic image characteristics and functions not performed by direct methods, may be mastered in drawing its features the Holy Qur'an and its uniqueness from other speech.

Keywords: artistic image, condensation of meaning, Holy Quran, speech composition, sentiment.

* المؤلف المرسل

مقدمة:

يجد المتلقي في كل عمل إبداعي متعة وجمالا يأخذانه، وشعورا يتملّك عليه حسّه ووجدانه، يتلألأ من نوره إشعاع تلك الصور الفنية التي يتفنّن في رسمها المبدعون، فتجعل تنبض بالحياة، فكم أبدعت العرب في جاهليتها أفانين الشعر وأضربه، وتغنّت به وقدسته، فكان مصدر عزها وفخارها، غير أنهم غاية ما جادت به قرائحهم لم يكن بأفضل ممّا جاء في المعلّقات، ولا تزال العرب تقدس الشعر وتحتفي بفحوله، حتى نزل القرآن على فترة من الوحي يقرع آذان القوم بما لم يألفوا، وما لم يعهدوا، ومتحدّيا إيّاهم على أن يأتوا بمثله، ولو اجتمعوا له، وكان مصدر التحدي في جانبه البياني الذي هو ميدانهم، فعجزوا جميعا.

ومعجزات القرآن البيانية كثيرة لعل من أهمها التصوير الفني، إذ يعدّ الأسلوب الأظهر في القصص القرآني خاصة، ومكمن جماله وسرّا من أسراره، لا يدانيه فيه أحد، فما ميزات التصوير الفني؟ وما تجلياته على المعنى؟

البحث الذي بين أيدينا يهدف إلى تبيان ماهية التصوير الفني، ويلاحظ ألوانه وطرق صياغته في القرآن الكريم، ثم يتلمّس الأثر الذي تتركه الصورة الفنية في المعنى وفي المتلقي، وفق منهج وصفي يرصد الظاهرة اللغوية كما هي في بيئتها الزمانية.

1- مفهوم التصوير الفني:

لقد اعتنى النقاد والبلغاء القدامى أمثال الجاحظ، وقدامة بن جعفر، والجرجاني، وابن الأثير، والقرطاجنّي وغيرهم بالصورة الفنية، وتلمّسوا معانيها خاصة في القرآن الكريم والحديث النبوي وأشعار العرب، والمتصفح لتراثهم يجد أن الصورة الفنية وردت عندهم ضمن مباحث علم البيان، بما تحويه من تشبيهات، وكنايات، ومجازات، ومن أساليب دقيقة مثل الإيجاز والتقديم والتأخير، والالتفات ونحوها، وتجدر الإشارة إلى أن علم البيان عند القدامى يشمل جميع فروع البلاغة التي عُرفت وحُددت مباحثها لاحقا، والتصوير الفني مسلك وعر المرتقى لا يتأتى إلا لمن فقه أساليب العرب في تخاطبها، ووطّن نفسه على محاكاتها والنسج على منوالها بكثرة الدربة والتمرن، مستندا إلى سعة الخيال.

أمّا القرآن الكريم فإنه "في كل شأن يتناوله يختار له أشرف المواد وأمسّها رحما بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به، بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين"[1]، فمن دقة التصوير الفني حسنُ اختيار الألفاظ الأدلّ على المعنى، والأساليب الأقرب إيصالا للفكرة، وإكساب الكلمة درجة عالية من الحجة والبرهان، حتى تحدث في نفس المتلقي التأثير المرجو الذي قد تعجز عن تأديته اللغة المعيارية[2]، ذلك أن الصور الإيحائية أعمق تأثيرا في النفس، وأكثر علوقا بالقلب من الصور التقريرية الوصفية التي نجدها في

الأساليب العادية، وبالتالي فهي أبعث على المتعة والجمال من غيرها وأقدر على الإقناع، لقوة معانيها وبديع عرضها.

2 – سمات الصورة الفنية:

للصورة الفنية سمات وخصائص تتميز بها الأساليب البليغة عن غيرها، لعلنا نجملها كالتالي:

2–1) الخيال والشعور:

يعتمد المبدع في تصوير مشاهد مقطوعته وأحداثها الفنية أساسا على خياله الواسع وشعوره المرهف، "ذلك الشعور الذي يمكّنه من أن يفطن لما لا يفطن له سواه من معاني الكلام وأوزانه وتأليفه، فإذا لم يكن عند الشاعر معنى جديد يخترعه أو ألفاظ عذبة يبتدعها مبتعدا بها عن الحشو والتكلّف، أو نظم جميل قوامه السلاسة والانسيابية، لم يكن للشاعر حينئذ إلا فضل الوزن والقافية"[3]، ولا يزال التعبير بالصورة الفنية هو الأسلوب الأفضل، والوسيلة الإبلاغية الأسرع في لغة المبدعين، حيث يقاسمون جمهورهم أفكارهم وما يحوز في نفوسهم، وكلما استطاعت الصورة تأدية هذه المهمّة موافقة بين تجربة المبدع الشعورية وما يصوّره في الطبيعة تصويرا فنيّا دقيقا، كان رقيّها جليا في مراتب الحسن والبيان. وكذلك "التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبّر عن الصورة المحسّة المتخيلة وعن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرقى بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحياة المتجددة"[4]، وهذه ميزة من بدائع القرآن الكريم التي تفرّد بها، وسر من أسرار إعجازه الذي تحدّى به فصحاء العرب وبلغاءها، وهم أرباب بيان وفرسان فصاحة، لا يضاهون في ميدانهم.

ومن خصائص نظم القرآن كذلك أن التمثيل أو التخييل ليسا شرطا في كمال للصورة الفنية ولا في أدائها الوظيفي، ويجب تنزيه كلام الله الذي يتصف بالصدق المطلق عن المشابهة المعنوية، إذ التمثيل أو التخييل عند الشعراء ربما يكون مخالفا للواقع، لو أمعنا النظر في آيات القرآن لألفناها ليست كلها تمثيلا أو تشبيها أو تخييلا، وإنما تُدار اللفظة في نظم الكلام بشكل عجيب– وإن تبدو لبعضهم خارجه ثقيلة على اللسان– فتتبوأ موضعها الذي لا ينبغي إلا لها، فتحس منها خفة على اللسان وحلاوة في السمع ومتعة في النفس، وترى الخطاب موجها إلى العقل والوجدان معا، والحق ممزوجا بالجمال، واللفظ على قلته يُثمّر في توليد جملة من المعاني الجليلة بأعز المسالك وألطفها.

2-2) تكثيف المعنى:

إن التعبير بالصورة الفنية يتجاوز وظيفة توضيح المعنى وإيصاله إلى خلق معان خاصة غنية بالإيحاءات والدلالات يستثمر فيها اللفظ القليل في تكثيف المعاني، "فتثير صورا جديدة غير محسوسة في الواقع مع أن مفرداتها من هذا الواقع"[5]، أو يظهرها في صور مجسمة، فإذا هي شاخصة تشعّ بالحركة وتنبض بالحياة، فتكتسب بذلك الاستمرارية والتجدد، كأنها كما قال تعالى: ﴿**تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا**﴾[6]، وهذه غاية شريفة تعجز عنها التعابير المباشر، فانظر في قوله تعالى: ﴿**إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ**﴾[7]، يقول في شرحها سيد قطب بأسلوب أدبي رفيع: "فهي مخلوق حي لها صفات الأحياء من البشر، فها هي تكظم غيظها فتكاد تميز من الغيظ، وتتمزق منه فترتفع أنفاسها من كظمها له فتفور ويسمع لها السامعون شهيقا مرعبا فظيعا"[8]، والتصوير الفني هنا أتى عن طريق الاستعارة المكنية، حيث شبه القرآن حالة جهنم لما يُلقى فيها الكافرون بالإنسان الذي يشتد غضبا وحنقا ويهيج على عدوه، فحذف لفظة ''الإنسان'' وترك ما يدل عليه (الشهيق، الغيظ، الفوران، التميز)، ولأثر هذا الأسلوب على نفسية المتلقي ما لا يخفى على ذي بال، بخلاف لو أُرسل الكلام سردا وحدا.

بل من روائع التصوير البياني الذي تفرّد به القرآن "تقديم النص اقتطاعا من الحدث الماضي أو من الحدث الذي سيحدث في المستقبل لإحضار الصورة نفسها كأن الحدث يجري مع الخطاب البياني"[9]، وأنت ترى المشهد وشخوصه أمامك، وتعيش لحظات القصة بشعورك وإحساسك، إن الذي يعاشر القرآن الكريم ويتدبر معانيه يتذوق حلاوته، ويتشارك وجدانيا مع أحداثه ووقائعه التي يمرّ بها، وكأنه عايش فترة التنزيل، وهذا ما يثمره الإيمان في القلب والعمل بالجوارح.

3 – من الصور الفنيّة الواردة في القرآن الكريم:

لقد تميز أسلوب القرآن الكريم عن سائر الكلام وتنوعت أغراضه، وحفل بألوان من الصور الفنية واللطائف البيانية، ليناسب عقول المخاطَبين به واختلاف مداركهم ومشاربهم، فمنهم المؤمن والكافر، ومنهم الطائع والعاصي، ومنهم المصدّق والمعاند، ومنهم العاقل والسفيه، فجاء أسلوب القرآن غنيا بكثرة التمثيل مدعوما ببراعة التصوير وقوة الاستدلال، ساميا في مقصده، مفحما في برهانه، مزاوجا بين الترغيب والترهيب، مخاطبا العقل والوجدان معا، حتى يقيم الحجة على المجادلين، ويقنع من كان في ريب من أمره، ويكون الناس على بينة، وفيما يلي عرض لبعض الصور الفنية الغالبة في أسلوب القرآن:

3-1) التشبيه:

هو تمثيل يجعل المشبه بصورة المشبه به أو قريبا منه، من خلال ملاحظة الصلات التي بينهما فيحبك من نسيجهما صورة رائعة الملامح، تجلي المعنى وتقربه من المتلقي وتقع في نفسه موقع الحسن والجمال، ففي قوله تعالى: ﴿**وَالذِينَ كَفَروا أَعْمالَهُمْ كَسَراب بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَمْآنُ مَاءً حَتّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ**﴾[10] يقول الرمّاني في شرح الآية: "وقد اجتمعا -أي المشبّه والمشبّه به- في بطلان المتوهَّم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة"[11].

حيث شبّه الشيء المعنوي الغيبي وهو عدم غناء أعمال الكفار عنهم شيئا، وهم قد اتّكلوا عليها في النجاة بالمعنى المحسوس الذي يثير في نفس الظمآن- وقد اشتدت حاجته إلى الماء في صحراء قاحلة- مدى التوق إلى الري والأمل في النجاة "حتى إذا جاءه لم يجده شيئا" فانقلب ذلك الأمل إلى خيبة وحسرة وقنوط، فالصورتان في النتيجة سواء في تحقيق المشابهة النفسية بالرغم من كون الأولى معنوية غيبية والثانية حسية مرئية .

3-2) الكناية:

من ألطف طرائق البلاغة "وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته والسر في بلاغتها أنها تأتيك بالفكرة مصحوبة بدليلها والقضية وفي طيها برهانها"[12]، ففي قوله تعالى: ﴿**إِذْ جَاءُوكُم مِن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**﴾[13]، فالآية تبعث في السامع حركة حسية شعورية تجسم مقدار الكرب والرعب الذي لحق المؤمنين وقد أحاط بهم الخطر من كل جانب واشتدت بهم الخطوات ، فالكناية في قوله "وبلغت القلوب" أبلغ وأدلّ على معاني الرعب والكرب والشدة والهزيمة من قولك مثلا "اشتدّت بهم الخطوب" أو "بلغ بهم الرعب مبلغا" أو شيئا في معناهما، فالصورة أصدق تمثيل وأدقّ تعبير عن كل ما يصاحب الحادثة من آثار نفسية وحركية وسمات ظاهرة، حتى تجعل السامع يستحضر مشاهدها ويحسّ آلامها.

3-3) الاستعارة:

تصوير فني يضمر تشبيها خفيا يثير الخيال، وقد تفوق قدرة التشبيه من حيث توصيل التجربة الأدبية، وقدرتها على التشخيص والتجسيم والتجسيد[14]، إلى درجة تُلغى فيها الحدود بين طرفي الصورة "فإنك ترى الجماد حيّا ناطقا والأعجم فصيحا والأجسام الخرس مبينة والمعاني الخفية بادية جلية، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها لا ناصر لها أعز منها ولا رونق لها ما لم تزنها"[15]، في قوله تعالى: ﴿**واشْتعلَ الرأسُ شَيبًا**﴾[16] شبّه الشيب في بياضه وإنارته بلهب النار وانتشاره بسرعة في الشعر، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، حيث استعير فعل (اشتعل)

للدلالة على فعل (انتشر) "تصويرا لصورة يتخيّلها الناظر إلى الرأس الذي أخذ الشيب ينتشر فيه بسرعة، كما ينتشر لهب النار في الهشيم حتى استوعب كل أجزائه"[17]، وأصل النظم: (واشتعل الشيب في شعر الرأس).

وفي قوله تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾[18]، فالصدع بالأمر أبلغ من قولك "بلِّغْ" حتى كأن له تأثيرا بالشق الذي يحدثه بالأشياء الصلبة، أما التبليغ فقد لا يكون له ذلك التأثير فهو لا يعدو عن كونه إعلاما مع ما يجمعهما من معنى الإيصال، ثم إن الصورة البيانية جاءت في تعبير موحٍ، إذ نقلت المعنى المجرد إلى معنى محسوس في حركة وإشعاع، وفيه إيحاء أن الأمر الذي كُلف بتبليغه له من السلطان والقوة ما يشق به ظلمات الجهل والطغيان[19]، ويبدد به غياهب الكفر والإلحاد حتى تستنير سبيل التوحيد، فانظر كيف تظفر بمعان كثيرة جليلة بأقل الألفاظ عبر مطية التصوير الفني والأسلوب البلاغي الرفيع.

3-4) في الذكر و الحذف:

التعبير القرآني دقيق في أسلوبه، قد يعمد إلى ذكر كلمة أو جملة في موطن ويحذفها في موطن آخر، أو يأتي أحيانا إلى الكلمة نفسها فينقص منها الحرف أو الحرفين ، وكل هذا لدواعٍ بلاغية لطيفة المسلك ، كما هو الحال بالنسبة إلى المفردات التالية التي تتعاور في آيات متشابهات: (تتنزّل، تنزّل) و(تتوفّاهم، توفّاهم) و(لم يكن، لم يكُ) وغيرها، ومن أسباب الحذف من الفعل: الدلالة على أن زمنه أقصر، وحدثه أقل من الفعل الذي لم يُحذف منه، وكونه في مقام الإيجاز والاختصار وغيرها من الدواعي، ففي قوله تعالى: ﴿**وإن تَكُ حسنةٌ يُضاعِفْها**﴾[20] حُذفت نون (تكن) تنبيها على أنه مهما كانت الحسنة صغيرة أو حقيرة في أعين الناس، فإن الله يضاعفها[21]، ويبدو أن الإيجاز والاختصار من الفعل هنا جاء إيذانا بقرب فضل الله ورحمته من عباده المحسنين، فيبادروا بالصالحات، حتى الهمّ بالحسنة يُكتب عند الله حسنة وإن لم يفعلها صاحبها، قال صلى الله عليه وسلم: (**فَمَنْ هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَها اللهُ عِنْدَه حَسَنةً كامِلَةً**)[22]، ولو جاء الفعل كاملا لم تحصل هذه الفائدة.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿**قالَ كَذلِكَ قَالَ ربُّكَ هُوَ علَيَّ هيِّنٌ وقَد خَلَقتُك منْ قَبْلُ ولم تَكُ شيْئًا**﴾[23]، والخطاب موجه إلى سيدنا زكريا عليه السلام لما بُشّر بالغلام بعد أن بلغه الكبر وكانت امرأته عاقرا، فأتاه الجواب من طريق الاستدراج العقلي، وحذف نون الفعل (تكن) الذي يدل هنا على المعنى المنقطع، ليشعر أنه من كان معدوما في الواقع يحسن إيجاز الحديث عنه، بالاقتطاع من لفظه دلالة على الاقتطاع من زمن الحدث، فيهين عليه الأمر الذي رآه في نفسه مستحيلا أو معجزا، ويطمئنّ قلبه لتلقي الهبة الربانية.

3-5) في التقديم والتأخير:

وهو مسلك بياني دقيق تناوله القرآن في أعلى صوره وأبدع طرائقه، حيث الأصل في الكلام ترتيب أجزائه حسب وضعها الطبيعي النحوي، إلا أنه قد يُلجأ إلى العدول عن هذا الأصل إلى تقديم ما حقه التأخير، أو تأخير

ما حقه التقديم لأسباب بلاغية ونكت يقتضيها المقام، في قوله تعالى على لسان زكريا: ﴿**فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا**﴾[24]، "لدن: ظرف زماني ومكاني غير متمكّن بمنزلة (عند) إلا أنه أقرب من عند وأخص منه"[25]. والمعنى أنه طلب الولد عن طريق معجزة من الله خارقة للعادة لأنه يعلم يقينا من حاله وحال زوجه عدم الانجاب بالأسباب الطبيعية مطلقا "فلمّا قال: (من عندك) دلّ على أنه سأل وليًّا غير جارٍ أمره على المعتاد من إيجاد الأولاد لانعدام الأسباب المعتادة فتكون هبته كرامة له"[26]، لذا قدّم الجار والمجرور (من لدنك) على المطلوب (وليا) وذلك لإظهار كمال الاعتناء والإلحاح على كون الهبة المطلوبة تجيء على ذلك الوجه البديع بعناية الله الخاصة، وفي تأخير المطلوب من التشويق ومناسبة السياق ما لا يخفى.

ومِن دقّة نظم القرآن في التقديم والتأخير كذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وجَعلُوا للّهِ شركاءَ الجنَّ وخلَقَهم**﴾[27]، يقول الجرجاني: "ليس بخافٍ أن لتقديم (الشركاء) حسنا وروعة ومأخذا من القلوب أنت لا تجد شيئا منه إن أنت أخّرت، فقلت: (وجعلوا الجنّ شركاءَ لله)... والسبب في أن كان ذلك كذلك هو أن للتقديم فائدة شريفة، ومعنى جليلا لا سبيل إليه من التأخير، بيانه أنّا وإن كنا نرى جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجن شركاء، وعبدوهم مع الله تعالى، وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم، فإن تقديم (الشركاء) يفيد هذا المعنى ويفيد معه معنى آخر، وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شركاء لا من الجن ولا من غير الجن..."[28].

والحاصل أنه لو قيل: (وجعلوا الجن لله شركاء) بتقديم (الجن)، أفاد المعنى الإنكار عليهم اتخاذ الجن شركاء لله دون أن يعمّ هذا الإنكار الشركاء الآخرين من غير الجن، فقد يتبادر إلى أذهان المفتونين باتخاذ الأنداد جواز ذلك، وهذه سبيل موقعة في الشرك، فأراد الله تعالى بهذا التعبير الدقيق أن يقطع دابر كل احتمال يلتبس فيه المعنى فيكون ذريعة لاتخاذ الشركاء والأنداد، وفق خط عام في القرآن لا يتخلف عند الحاجة.

خاتمة:

التصوير الفني أسلوب تعبيري بليغ، دقيق المسلك رفيع القدر عزيز المبتغى، لا يستطاب إلا بعد معاشرة النصوص الأدبية الراقية ولا سيما القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام العرب الفصحاء، وإدامة النظر في أسرارها وأساليبها، ثم بذل الجهد في الإتيان بمثلها، والنسج على منوالها بكثرة الدربة والتمرن وسعة الخيال، وقد احتفى قدامى النقاد والبلغاء الصورة الفنية–خاصة في القرآن الكريم– وتناولوها بالدرس ضمن مباحث علم البيان، بما شملته من تشبيهات، وكنايات، ومجازات، ومن أساليب دقيقة مثل الإيجاز، والتقديم والتأخير، والالتفات ونحوها.

وللتصوير الفني خصائص ووظائف لا تؤديها الأساليب المباشرة من أهمها: إكساء التعبير مسحة من الحسن والجمال، والتسريع في عملية الإبلاغ عن المقصود بأوجز عبارة وأدق المعاني، وتثمير اللفظ القليل في تكثيف المعنى، وإشراك المتلقي شعوريا ووجدانيا والتأثير فيه، ونقل الشيء المتخيل إلى محسوس، وأمّا القرآن الكريم فإنه جاء

على نسق فريد لم تعهده العرب، "في كل شأن يتناوله يختار له أشرف المواد وأمسّها رحما بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به، بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين".

وله القدرة على جمع المتفرقات الجمع بين الحق والحلم، وبين العقل والعاطفة، وبين خطاب العالم وإفهام الجاهل، وهو مع ذلك على مستوى من البيان لا ينزل عنه في موضع، سامٍ في مغزاه صادق في خبره، ويعدّ التصوير الفني الأداة الأبرز في التعبير القرآني، ولعله الأسلوب الأمثل في قصصه، حيث يصور أحداثه ومشاهده تصويرا دقيقا ويشخصها كأن السامع أو القارئ يراها رأي العين، فتقع في قلبه موقعًا، فتملك عليه حسّه ووجدانه بما تلقيه معانيها من ظلال، وكلماتها من حجّة وبرهان.

تنوعت أساليب الخطاب القرآني، تبعا لاختلاف منازل الناس، وتفاوت أفهامهم، وتنوع ميولاتهم ومشاربهم، وناسب هذا أيضا أن تتنوع طرق التصوير الفني في الخطاب القرآني وتستوي على سوقها، ومن أماراتها دقة اختيار الألفاظ الأدلّ على المعنى، والأساليب الأقرب إيصالا للفكرة، والصور الإيحائية الأعمق تأثيرا في النفس، وأكثر علوقا بالقلب، ومن ثمة فهي أبعث على المتعة والجمال وأقدر على الإقناع، لقوة معانيها وبديع عرضها، بل إن النص ليُقتطع اقتطاعا من الماضي أو مما سيحدث، أو تُطوى مسافاته، وكأنك ترى مشاهد القصة شاخصة أمامك وتعيش أحداثها بشعورك وأحاسيسك، فتأسر لُبّك وتشدّ ذهنك، خاصة صيغت بأسلوب الحوار وحُبكت أدوارها حبكا يلقي على أجوائها ذلك الجمال القصصي والتشويق.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**
- **الحديث النبوي الشريف:**

- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط1، 2002.

1. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط3، 1963.
2. جلال الدين السيوطي، البرهان في علوم القرآن، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد سالم هاشم، دار الكتاب الحديث، مصر، ط2، 2004، ج1.
3. حسام تحسين ياسين، الصورة الفنية في شعر ابن القيسراني عناصر التشكيل والإبداع، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية نابلس (فلسطين)، 2011.
4. خالد لفتة باقر اللامي، مستويات الصورة الفنية في شعر ابن الخاتمة الأندلسي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، 1424هـ، ج15، ع27.

5. الرماني علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح: محمد زغلول سلام ومحمد خلف الله، دار المعارف القاهرة، ط4، دت.
6. السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت.
7. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1983.
8. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق القاهرة، دط، دت، ج16.
9. صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1995.
10. طاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج16.
11. عبد الرحمن الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق، ط1، 2002، مج7.
12. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية– مصر، دط، دت.
13. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، دت.
14. محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي الحديث بين القديم والحديث، دار النهضة بيروت، دط، 1979.
15. محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار الثقافة، الدوحة، دط، 1985.

هوامش البحث:

(1) محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار الثقافة، الدوحة، دط، 1985، ص92.

(2) ينظر: محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي الحديث بين القديم والحديث، دار النهضة بيروت، دط، 1979، ص108.

(3) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط3، 1963، ص96.

(4) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1983، ص121.

(5) حسام تحسين ياسين، الصورة الفنية في شعر ابن القيسراني عناصر التشكيل والإبداع، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية نابلس (فلسطين)، 2011، ص03.

(6) سورة إبراهيم، الآية 25.

(7) سورة الملك، الآية 7-8.

(8) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق القاهرة، دط، دت، ج16، ص634.

(9) عبد الرحمن الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق، ط1، 2002، مج7، ص387.

(10) سورة النور، الآية39.

(11) الرماني علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح: محمد زغلول سلام ومحمد خلف الله، دار المعارف القاهرة، ط4، دت، ص75.

(12) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت، ص 293.

(13) سورة الأحزاب، الآية 10-11.

(14) ينظر: خالد لفتة باقر اللامي، مستويات الصورة الفنية في شعر ابن الخاتمة الأندلسي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، 1424هـ، ج15، ع27، ص897.

(15) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية– مصر، دط، دت، ص33.

(16) سورة مريم، الآية: 03.

(17) عبد الرحمن الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، مج7، ص383.

(18) سورة الحجر، الآية 94.

(19) ينظر: صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1995، ص61.

(20) النساء، الآية 40.

(21) ينظر: جلال الدين السيوطي، البرهان في علوم القرآن، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد سالم هاشم، دار الكتاب الحديث، مصر، ط2، 2004، ج1، ص407

(22) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق– بيروت، ط1، 2002، رقم: 6491، ص:1614.

(23) سورة مريم، الآية: 09.

(24) سورة مريم، الآية: 04.

(25) عبد الرحمن الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر ، مج7، ص386.

(26) طاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج16، ص67.

(27) الأنعام، الآية 100.

(28) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، د ت، ص182.